مواقف ووثائق

الشيوعيون والقضية الفلسطينية

تنشر «الهدف» فيما يلي الفصل الخاص « بقضية فلسطين » كما ورد في تقرير اخير الحزب الشيوعي اللبناني ، والغاية من نشر هذا الفصل كما ورد في ذلك التقرير الاخير هو :

□ اولا : وضع صورة عن الموقف الذي توصل اليه الحزب الشيوعي بالنسبة لتحليله وروايته للقضية الفلسطينية .

□ ثانيا : فتح الحوار حول هذا الموقف .

وهذا يعني بالطبع ان « للهدف » تحفظاتها على بعض ما ورد في هذا التحليل ، كما انها تحتفظ بتساؤلاتها حول الصورة التي يراها الحزب الشيوعي للكفاح في سبيل تحرير فلسطين .

ومبدئيا فان هذا التحليل لا يتطرق بالتفصيل لرسم تلك الصورة لمستقبل النضال الفلسطيني ، ولا للعلاقات المقترحة بين فصائل الكفاح المسلح وبين الحزب الشيوعي ، واذا كان التقرير يمر مرورا عابرا فوق ما يصفه « بحرب التحرير الشعبية الفورية » فانه لا يدخل الى تفاصيل موقفه من القضية المركزية في الكفاح الفلسطيني ، وهي حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد ، وحسم التناقضات القائمة بين حركة التحرر العربية من جهة ، وبين الحلف الصهيوني الاستعماري الرجعي من جهة اخرى ، بالعنف الثوري المسلح .

ومن الواضح ان التقرير الذي نحن بصدده لا يعطي اجوبة حاسمة على هذه التساؤلات المحورية ، وان كان التحليل الذي يطرحه التقرير لتاريخ وواقع المسالة الفلسطينية مؤهل لان يفرز بالنتيجة مواقف ثورية متناسبة مع ذلك التحليل .

وبالطبع ، فان مسائل اخرى واساسية تظل في حاجةلتوضيح وجدل ، وهذه المسائل ـ بالاضافة لتلك التي اشرنا اليها ـ تشمل تحليل مواقع ومستقبل دور انظمة البورجوازية الصغيرة ، ووضع هذه الطبقة اجمالا في خارطة الحركة الثورية في مرحلتها الراهنة ، وهي مسالة مركزية في الوقت الراهن فيما يختص بالدرجة الاولى بالقضية الفلسطينية .

امام خلفية تشمل كل تلك التحفظات والتساؤلات والتوقعات، تنشر « الهدف » تحليل الحزب الشيوعي اللبناني للمسالة الفلسطينية :

« الهدف »

لا بد لمعالجة القضية الفلسطينية من وضعها في اطارهاالصحيح بوصفها جزءا هاما من حركة التحرر العربية . فاسرائيل وليدة تآمر الامبريالية وتخطيطها، والصهيونية حركة عنصرية استعمارية قاومت الحركة الاشتراكية النامية في اوروبا باستغلالها مآسي اليهود حين كانوا يتعرضون لموجات العداء للسامية في اوروبا الوسطى والشرقية ، جاهدة في عزلهم عن النضال الاجتماعي الطبقي في بلدانهم، مزينة لهم فكرة الهجرة الى فلسطين بالضرب على وتر المشاعر الدينية .

ولكن مخطط الصهيونية لم يجد قبولا عند جميع اليهود آنذاك ، فقد رأى الكثيرون منهم ان مشكلتهم جزء من مشكلة الكادحين في مجتمعاتهم ، فانضموا للحركات الديمقراطية والثورية للعمل على تغيير هذه المجتمعات ، ووجد آخرون الحل في الهجرة الى اوروبا الغربية او الى امريكا .

وركزت الصهيونية دعايتها على الشعارات العنصرية والدينية لتحويل الهجرة الى فلسطين ، وعملت على كسب تاييد جميع الدول الاستعمارية دون استثناء لمخططاتها ، مؤكدة انها سوف تدافع عن مصالح كل منها ، واعدة على لسان زعيمها هرتزل بانه : « اذا اعطانا جناب السلطان فلسطين، يمكننا أن نقوم بتنظيم مالية تركيا بشكل كامل . وبالنسبةلاوروبا سنكون في مكاننا هذا جزءا من المتاريس ضد آسيا . سنكون حراس الطليعةللمدنية ضد البربرية ... » .

وفي مطلع القرن الحالي تبلورت المشاعر والتطلعات القومية في العالم العربي الخاضع للسيطرة العثمانية ، وقد رأت الامبريالية خطرا شديدا يتهدد مصالحها وراء هذه التطلعات ، يشهد على ذلك ما جاء في توجيهات المؤتمر الذي دعا اليه عام ١٩٠٧ باترمان رئيس وزراء بريطانيا آنذاك وضم ممثلي الدول الاستعمارية المرتبطة (بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وايطاليا واسبانيا) . فقد اكدت هذه التوجيهات ان « البحر الابيض المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار ، لانه الجسر الذي يصل الشرق بالغرب ، والممر الطبيعي الى القارتين الاسيوية والافريقية ، وملتقى طرق العالم .. ويكمن الخطر المهدد للعالم في هذا البحر . ففي حوضه مهد الاديان والحضارات ، وعلى شواطئه الجنوبية والشرقية يعيش شعب واحد ، تتوافر له من وحدة تاريخه ودينه ولغته وآماله كل مقومات التجمع والترابط والاتحاد ، وتتوافر له في ثرواته الطبيعية وكثرة تناسله كل اسباب القوة والتحرر والنهوض . ويكمن الخطر على كيان الامبراطوريات الاستعمارية في تحرر هذه المنطقة وتثقيف شعوبها ، وتطويرها ، وتوحيد اتجاهاتها وتجمعها واتحادها حول عقيدة واحدة . ولذا فان على الدول ذات المصالح المشتركة ان تعمل على استمرار وضع هذه المنطقة ، المجزأ المتأخر ، وعلى ابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وجهل وتأخر » . واوصى التقرير كوسيلة اساسية مستعجلة لدرء الخطر « بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقي من هذه المنطقة عن جزئها الاسيوي ، عن طريق اقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بافريقيا ، ويربطهما معا بالبحر المتوسط ، بحيث تقوم في هذه المنطقة ، والى مقربة من قناة السويس ، قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة » .

هكذا برزت الصهيونية اداة لتنفيذ الخطة الاستعمارية ضد حركة التحرر العربية

وجاءت الحرب العالمية الاولى ووضعت مسالة تصفية تركة « الرجل المريض » قيد التنفيذ ، ونتيجة التنافس بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية قرر اتفاق سايكس ـ بيكو لفلسطين ادارة دولية ، ولكن الحرب مكنت بريطانيا من نقض الاتفاق والاحتفاظ لنفسها بفلسطين من اجل تدعيم حماية قناة السويس والطريق البرية الى الهند .

وكان وعد بلفور الحجة التي تذرعت بها بريطانيا من تعهداتها لحلفائها . ولقد فضل الزعماء الصهيونيون الحماية البريطانية لانها الاقوى ، ووافق ويلسون رئيس الولايات المتحدة، التي اضحت ركيزة الصهيونية ، على هذا الوعد قبل اعلانه . وكذلك وافقت عليه بصورة رسمية الحكومتان الفرنسية والايطالية . اذن لم يكن وعد بلفور « عملا فريدا من جانب الضمير العالمي » كما ادعى الزعيم الصهيوني وايزمان ، ولم تتعرف الامبريالية

نحو موقع جديد

ان الفكر السياسي الموجه لاستراتيجية الثورة الوطنية الفلسطينية مطالب بالحاح صياغة أفق ثوري نظري وعملي يساهم في عملية التعبئة الايديولوجية والسياسية لقطاعات شعبنا النسائية لتأطيرها في بنية الاداة الثورية المقاتلة لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية .

ان المدخل الصحيح لتحديد ابعاد هذه الموضوعة مرهون بالاجابة على السؤال العريض المطروح على كل ثوري في هذا العصر : عصر الامبريالية وعصر نهوض حركات التحرر الوطني العالمية في العالم الثالث ، بتحديد ابعاد الحل الثوري للمسالة الوطنية والتي برأينا تتلخص بتوضيح جدلي لمعسكر الثورة ولمعسكر الثورة المضادة وبتبيان علم الثورة وعلم الثورة المضاد ، لنتعرف بموضوعية على آفاق التكتيك العام لحل مسالة التناقضات بين الثورة واعدائها .

اصبح من الواضح بالتجربة الملموسة لانتصار حركات تحرر وطنية وفشل بعضها ان المعيار الحقيقي لعوامل الانتصار مشروط بتوفر ايديولوجية ماركسية ـ لينينية ترشد الفصيلة الثورية بتكتيكها في الحرب الجماهيرية المسلحة الطويلة الامد ، كما اتضح بالمقابل هزيمة ساحقة اصابت كل الحركات الوطنية ذات النفس العفوي والارتجالي والانتقائي ،

هذه التوطئة لا بد منها لان الساحة الفلسطينية تحوي كلا النوعين من التيارات وبها افرازاتها التنظيمية ، مما يفتح المجال امام الطلائع الاكثر ثورية وجذرية أن تشق لحركة الجدل مسيرتها التاريخية لترسي في نهاية المطاف على خط ايديولوجي وسياسي صارم . لذلك نشعر بفتحنا المجال رحبا امام حركة الجدل هذه انلتناول احد اهم المسائل المطروحة على صعيد الثورة الوطنية الفلسطينية ، وسبق ان طرحت على حركات وطنية اعطت حلولا لها ناجحة ، وهي كيف نعبىء ونجند المرأة العربية لتتصدى بفعالية لمسؤولياتها في حرب التحرر الوطنية ؟

يحكم هذه الصورة العامة نشعر أن الصراع حول هذه المسالة يرتكز على صراع في حقل الايديولوجية وعلى صراع سيكون أشد ضراوة في صعيد الممارسة العملية .

ان المحاكمةالنقديةالملموسة لنصيب المرأة العربية في حركةالكفاح المسلحة تبين لنا غياب دورها الفاعل ، الجماهيري ، فعلاقتها بالحركة السياسية المسلحة توضح من جهة عمق الازمة التي تهيمن على الحركة الوطنية الفلسطينية نتيجة الفصل القيادي لايديولوجية وبرامج البورجوازية الصغيرة العاجزةموضوعيا عن دفع العمل المسلح ليتخذ طابع حركة جماهيرية مسلحة معبأة ومنظمة لاعرض قطاعات شعبنا وشن حملة قتال عريضة على جبهة عدوناالامبريالي الصهيوني الرجعي .

ان وجود بعض الملامح التي تشير الى مشاركة عناصر نسائية في العمل الوطني الفلسطيني ودخولها معتقلات العدو ومساهمتها في بعض الضربات المسلحة والاضرابات الجماهيرية لا يغيب عن اذهاننا حقيقة الواقع المحزن الذي تعيشه قطاعاتنا النسائية وهي وجودها في وضع عام مشلول ، فالمبادرات الفردية والنضالات المتقطعة وشد الحبل بين الارث الاقطاعي الديني والارث الايديولوجي البورجوازي وبين وضع التخلف والجهل العام الذي تحياه المرأة العربية لن تستطيع سكاكين الايديولوجية البورجوازية الصغيرة أن تحل معضلات هذا الواقع وتقهره لصالح الفكر والممارسة الثورية

ان الفكر والممارسة القادرة على تجاوز هذا الواقع وتوجيه الطلقات